التحرر
للكاتب : ظل
رواية

رواية

التحرر

ظل

ضعوا حزام الأمان وانتم تتذكرون الماضي .

ظل

المقدمة

ان الانسان يتمنى في أقرب فرصة التحرر من جسده المتعب او من بعض الاحزان التي اصابتهُ . من منا لا يريد التحرر ?. هذا الرواية مُختصره رجل متعب يتصارع مع الذكريات التي تطل عليه يوميا وما زال يُفكر كيف حدث هذا .

هرعتُ إليها عندما سمعتها تصرخ ، أشعلت الضوء وتقربت نحو سريرها وعانقتها ،

- كابوس مو ؟

قالت لي أن الكوابيس لا تتركها أبداً حتى لو فارقت الحياة ولكني أسكتها وقلت لها انتي المسؤولة عن هذه الكوابيس لأن أفكارك أغلبها تكون سوداوية وتنوحين بكثرة على أبي مما يجعل تفكيرك أكثر انغلاقاً ولا تذكرين قول الله تعالى :

(إنّا لله وإنّا إليه راجعون)

شربتُ الماء الذي كان على التخت أمام السرير وعاودت النوم أطفأت الضوء وقلت لها

- نامي زين

غطت في نوم عميق وانا ذهبتُ لكي أعد لي فنجان من القهوة لكي يروق مزاجي قليلاً . كان الشيء الذي لا يُنسى هو يوم أختطاف أبي. حيث ذهب في الصباح على باب الله كمة يُسمه فكيف في باب الشيطان! . لم يعد أبي حينها كانت أمي تتصل حتى يخيبُ أملها في الاخير وتسمع المُرد الآلي يقول (الجهاز مغلق!)

كان في صباحات شهر آب في سنة ٢٠٠٤ حيثُ عثرنا على أبي مقتول ومرمي في النفايات . كان مشوهة الوجه وقد قُطع أصابع يدهُ. الى اليوم لا نعرف لماذا خطف وقتل في هذا طريقة الوحشية قطع تفكيري صوت قطه وهي في مرحلة التزاوج .
كان صراخها يعلو في كل مرة حتى خرج لهم عمي وصاح بهم فبتعدوا القطط من هذا المكان فوراً وذهبنا الى مكان اكثر هدوء وأمان ليمارسوا حياتهم الطبيعية .

فاجأني سؤالها وهيه تقول لي
- تحبني؟
فقلت لها ان حبك لا يصفهُ أي حب ابداً . فضحكت وقالت هذه الكلمة تسمعها كل امرأة على الأرض .
- قابل اتشاقة وياچ ?!
عاودت الكلام هذه المرة ولكن أكثر جدية
- احلفك بالعباس شگد تحبني
فقلت لها أن حبك لا يقاس ابداً. فضحكت بصوت عالي ..
- وحق يسوع!
-اي وحق يسوع
عندما سمعت اسم يسوع بادرت بالانحناء وصلوات وترنيمة . فقالت بصوت خافت ("لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ. لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ.") آمين

تدله حول رقبتها البيضاء قلاده ذهبية كانت منقوشه عليها بعض الايات للحفظ. عندما تقربت لكي تقبليني كانت تضع حمرة حمراء الون حيث تركت أثر في خدي وشفتاي . حاولت ازالتها بيدي ولكنها قالت لي لا تحاول ابداً

- روح غسل وجهك يا حلو

ها أنا ذا واقع في حب فتاة مسيحية والأخرى مسلمة. هل يعقل هذه! هل انا الوحيد الذي يقع في هكذا حب لا أدري اين نهايته وأين سوف يقذف قطار العمر بي ولا يعد ابداً .

كنت امشي وحيدا في الغابة. احمل في يدي بندقية صيد. وانا امشي هجمت علي خمس او تسع ضباع !. قتلت ثلاثة في بندقيتي ولكن الثلاثة عندما يسقطون ارضاً يعيدون الى الحياة من جديد ويقتربون نحوي! صرخت من الذي أرى يا إلهي ماهذا الضباع التي لا تموت اقترب احدهم مني فأصدر صوت لم افهمة جيداً فهربت الضباع جميعهم وبقيت وحدي من جديد .

أفقت من الحلم فطار النوم بعيدا بقيت أتقلب في الفراش لعلي اجدةُ ولكن بلا جدوى . نهضت من فراشي وتقدمت نحوا الحمام كي اغسل وجهي نظرت الى نفسي في المرأ . كنت في حالة صعبة حيث شكلي متعب ومصفر ويبان على وجهي المر الذي استقي يوميا . حككتُ رأسي فتناثرت القشرة كالمطر على كتفي.
غمغمت وقلت
- والله بلوه
كانت قد أفاقت ايضا ووجدتها تعد الفطار لي وعندما رأتني اخرج من الحمام قالت
- صباح الخير يمة
فقلت لها
- صباح النور يا ست الحبايب .
جلست في استقبال المنزل واشعلت التلفاز لكي ارى الاخبار اولا . كانت تضج في أحداث اليوم مما يشعرني بالملل فغيرت القناة ووضعتها على ناشونال جيوغرافيك .

رأيت الأسود تتصارع للعيش ولتحفظ مقامها بين الأسود الأخرى والحفاظ على الأرض خاصتهم . كانت ناعمة وصغيره تقف على النهر كي تشرب لم تلاحظ انها في خطر بل اكملت الشرب اقترب التمساح منها فهربت سريعا منهُ حاصرها جمع من الاسود لم تمر لحظات إلا وأصبحت الجميلة بين الاسود وجبة طعام لذيذة أطفأت التلفاز وحزنت على ماحدث للجميلة تنهدت وقلت

- الحمد الله شبعت

كان الشارع شبه خالي من الناس حيث فيروس كورونا (كوفيد - ١٩) اجلس الناس في بيوتها وعطلهم عن عملهم ولكن اغلب الناس يشترون الغباء بأنفسهم حيث اول انتشاره كانت الاصابات صفر ولكن لكثرة غبائهم وعدم التصديق وصلت الإصابة الان الى الالف . يطالبون في الحرية وهم متعبين لكثره غبائهم لا يستطيعون ولو مره واحد التركيز والتصرف بشكل صحيح. قطع شرودي صوت شيخً كبير في السن وهو يُبصق على الأرض فقال

- الحمد الله يلا اصعد عمي

جلس بجانبي رجل اربعين السن . كان الشيب قد بدء يحتل الشعر الاسود عنده حتى ينتهي تماما . عندما نظر لي قال

- السلام عليكم خوية

- وعليك السلام اخي العزيز

فابتسم وبدء راضي تماما أن الذي يجلس امامة يتقبله. اخبرته الى اين انت ذاهب فأجاب الى العمل فقلت لهُ

- العمر يگضي وشغل لا

- اي والله صدگت

وضعت الهتفون في اذني واطربتُ نفسي بصوت واغاني إلهام مدفعي

(يا عذولي لا تلمني فالهوى قتال ... يا عذولي لا تلمني فالهوى قتال ... انني مغرم صبابا ارتجي الوصال)

نغزني الرجل بيده فأطفأت الاغنية لكي ارى مالذي يريد

أخبرني انهُ راى منام اليوم فقلت له ليس لدي مانع من الاستماع تفضل فبدأ كلامه بحسنا وهو متحمس جداً لسرد منامة .

سُبات الآلـهة

كُنت نائم في مكان ما فاستيقظت على ضوء الشمس الخافت .
كان قانون الآلهة هي إلا تشرق الشمس عليهم . والا يرون من الآلهة الغضب فقط . في ذاك الصباح اشرقت الشمس على تماثيل الآلهة النائمة لسنوات عدة فقطع ضوء الشمس سُبات الآلهة الذي دام لسنوات طويلة وهي نائمة. عندما استيقظت الآلهة ارسلت انذار خراب وتدمير للسكان وعليهم أن يترقبوا الهلاك. كان إله البحر قد ضاعف من حجم البحر حتى بدأ يكبر البحر . كافي لغرقنا جميعنا كنا محاصرين في الحلم والناس هرعه ولا يوجد طريق للهروب فالآلهة تراقبنا ونحن نموت. كان على أجهزتنا الخلوية مؤقت حين تدق ساعة الصفر ويبدأ الهلاك كنا ننظر أيضاً إلى حجم البحر كيف يكبر ومتى الفيضان .
بدأ العد التنازلي من عشرة فانتهى بصفر .
انطفئ الجهاز وبدأ الماء ينغمر في المدينة واصبحنا كطوفان نوح العظيم حيث غرقنه جميعنا ولا يوجد فلك ينقذنا من هذه المصيبة التي حلت علينا. رجعت الآلهة تنام من جديد وانا استيقظت اذهب الى عملي.

- وهذا الحلم ياخوية
نظرت لهُ وفكرت قليلا بجواب يشفي تشويقه المفرط
- الحمد الله على سلامتك اهم شي انت ماغرگت وياهم
فضحك الرجل وظهرت أسنانه التي اكلها التسوس ولم يبقى منه سوى الأسنان الامامية المتآكلة . عاود سؤالي فقال لي
- شنو تشتغل انت!
- صاحب مكتبة
فقال لي
- كتب دين ?
- لا مو كتب دين ثقافيه روايات وقصص ..
كان مستغرب جدا فقال لي
- الربح مالتها زين?
- حسب اكو اقبال على الكتب الورقية واكو لا اكثر الناس حاليا يقرأون pdf
وصل الرجل الى المحطة التي سينزل عندها فقال بصوت عالي للسائق
- نازل يمك حـچـي!
ودعني الرجل وقال لي
- حبيت الكلام وياك اخويه انا اترخص الله وياك
فودعته انا بابتسامة وتحيه
ظل مقعده فارغ فعاودت الاستماع إلهام مدفعي وانا انظر من شباك السيارة حتى وصلت الى محطتي.
(نازل)

كان الثلج يتساقط على بغداد حتى البسها البياض وغطى كل خضار فيها. كان النخل الشامخ وسعفاته التي تضرب أشعة الشمس لتكن لنا ظل نحتمي داخلها قد تجمدت من البرد. أصبحت بغداد كأحد الدول الأوروبية حيث أصبحنا نستمتع باللعب بثلج نحن ايضا. ولكن كان الثلج ليوم واحد فقط فاختفى .كان اخر مرة نزل فيها الثلج على بغداد قبل عشرين عام وها هو الآن ينزل على بغداد من جديد. لو كانت بجانبي لستمتعت باللعب بالثلج. تخيلتها واقفه امامي

- تعالي نلعب

احضرت أمامها تل من الثلج فكورتها إلى دوائر فضربتني بواحدة على صدري فعاودت صنع كرات الثلج اكبر واكبر حاولت هذه المرة إصابة رأسي بالكرة الثلجية. ولكنها وقعت على الأرض حاولت أن أحملها ولكنها قالت لي ان اتركها هكذا نائمة . نمتُ بجوارها انا الاخر وتمعنت النظر في السماء والغيوم الثلجية فقالت لي

- تحبني!

- والله احبـچ

- شكد

- بگد رحمه الله

اختفت بعيداً عني وبقيتُ وحدي من جديد كان اخر ماكتبتهُ على الثلج هوا

(الله هوَ الحُب)

ذهبت الى المكتبة وجلست اتصفح الانترنيت كانت الاخبار تضج كعادتها. لم ابالي لها مطلقا. كان لي أخ يسكن في البصرة ألقبه ابن السياب وهو يلقبني ابن المتنبي . كان اسير الشعر حيث لا يفارقه ابدا . حاولت اكثر من مره اقناعه ان يقوم بطباعة كتاب شعري خاص به فقال لا أستطيع تسليم اشعاري اليكم خوفا عليها من ماكينة الطباعة ومن ايادي المنقحين والمصححين .

قُتل اخي في مظاهرات البصرة التي جرت بسبب تلوث المياه وقطع التعيين . كان اخي اول من شد الرحال والتحق في هذه المظاهرات وكان يؤمن أن هذا التظاهر ستجلب حقة المسلوب من زمان اثرها الحكومة الفاسدة . ولكن في كل مظاهرة تندلع يكون ملك الموت حاضر فيها ليس معنا ولا مع الجهة التي تقمع بنا بل مع الموت دائما مع الموت.

مر يوم طويل وانا جالس في مكتبتي اقوم بتجهيز طلبات الكتب فعملي اصبح على الانترنيت كثيراً. اغلقتُ الأبواب المكتبة واخذت كتاب في يدي . كان المطر بدأ يتساقط فأسرعت بركض إلى أقرب سيارة كان مفتوح بابها فركبت حتى اكتمل العدد.
أغلقت الباب ورائي ومسحت قطرات المطر عن غلاف الكتاب كان يوم شاق جدا جدا. كانت وجوه الركاب تحمل ملامح مثيرة للرعب حيث وجدت شخص يتطلع بي اول ركوبي فابتسمت في وجهه ولكنه ما إن ابتسمت في وجهه حتى ادار وجهه عني أو ربما حسبني مُغفل .

وصلت عند شارع المنزل قلتُ للسائق

- نازل يمك

نزلت من السيارة ونظرت الى الشخص الذي كان ينظر لي فابتسمت في وجهه للمرة الثانية فبدأ مستاء مني .

خلعت حذائي المبلل عند عتبة الباب. كانت تقوم بعمل الرز مع الآش فقبلت يدها وقلت لها

- شلونج اليوم

فردت بصوت متعب

- زينة

ذهبت الى غرفتي وضعت الكتاب على الرف وخلعت ثيابي التي التصقت على جسدي لكثرة الارتداء من الصبح . بدء صوت الرعد يعلوا فتحت النافذة ورأيت الشارع غارق في المطر لا أحد في الخارج لا أحد سوى المطر والرعد وأحزاني التي لا تنتهي ولا تتركني وكأني الاب الوحيد الذي يرعاها هل لها أن تتركني ولو ليوم واحد .

كانت قد اعدت لي الحمام لكي استحم سبحان الله كيف عرفت اني سوف استحم اليوم في العاده لا استحم بعد العودة من العمل.
ولكني تذكرت أن أمي تعلم جيدا اني احب هكذا طقس ممطر فأفضل الاستحمام في هكذا طقس .

كان الماء الساخن ينزل على كتفي فيزيل التعب منهُ. بدأت بالغناء
(يا ام العيون السود ماجوزن انا)
فطرقت الباب طرقات وقالت لي
- هاي منو!
- ماكو شي يمة اغنية هاي
هل كانت تظن اني واقع في الحب. هل كانت تظن ان فتاة سوداء العين ستسرقني منها وتكون وحيدة. ولكني اخبرتها اني لو تزوجت سوف نسكن هنا وستتحمل ضجيج وتكسير اطفالنا لغراض البيت ايضا لربط الحزام الأسود في القتال بينها وبين زوجتي. فضحكت في داخلي وانا اتذكر الموقف لو أصبح حقيقياً

ساعدتها في حمل الأطباق الى المائدة . كان الطعام ساخن حيث لازال البخار فيه يصعد إلى السماء في حركة متراقصه فيختفي بتلاشي. وضعت بجانب الأرز القليل من الزبادي الذي افضل تناوله مع الرز بالآش. ايضا وضعت صحن فيه عنقودين كبيرين من العنب والقليل من الكرز بجانبهُ . فجلست مسافة عني وبدأت بذكر اسم الله قبل الأكل ثم تناولت الطعام وهيه ساكته تماما.

كُنت مُختطف من عصابه ما أو ميليشيا تابعة لحزب ما. كنت مُقيد على كرسي جلد ومشدوده عيني بعصابة ولكن الذي ربطني كان ابله حيث ترك مكان صغير جداً للرؤيا . كانوا ثلاثة أشخاص أحدهم يحمل الرشاش
(الاي كي) كانوا يرتدون الاقنعة . احظر شخص كرسي ثاني ووضعه بجانبي جلس شخص من بينهم على الكرسي فبدأ كلامهُ لي بصفعه على وجهي جعلت رأسي يدور حته كدتُ افقد الوعي ولكنهم رشوني بالماء فعلمت انني لم امت اثر الصفعه وان السهرة لم تنتهي بعد .

- انت شسمك

قلت في سري هل يعقل هذا يختطفون شخص ولا يعرفون اسمهُ لم يتلقى الجواب في السرعة التي كان يريدها فضربني ثانيه على وجهي. شعرت أن الدماء تسيل على شفتاي وأنفي وجبهتي

- شسمك حيوان

- جاسم

- ابوك الكواد شنو اسمه

- اسمه عباس سيدي

ضربني الذي كان يحمل البندقية على ظهري شعرت ان عظامي قد تكسرت اثر الضربه واصبحتُ هش جدا .

منين انت

- بغداد سيدي

- جا من خالتك

كان من سؤاله غبي جدا حيث لا يتقن ابدا فن تقمص دور العصابات في طرح الأسئلة على المختطف . احضرو حبل يشبه تلك الحبال التي يقومون في استخدامها في الإعدامات . شدهُ على مروحة السقف فتدلى الحبل على منتصف الغرفه البارده.

انزعوني ثيابي وضربوني كثيراً

- سيدي نعدمة

- لا انتظر خالتك تجي

فضحكت وقلت لهُ

- حت سيدك يتجاهل افكارك

فغضب هذا الآخر وشتمني

- ابن النعال

فتحوا وثاقي ولكن لم يزيلوا العصابة عن عيني ابدا. وقفوني على الكرسي ووضع احدهم الحبل على رأسي وشدهُ بقوة حول عنقي . كنتُ اشعر بالبرد وتذكرت الايام التي عشتها وانا صغير نائم بجوار امي.

- اااه يا امي

قال لي القائد بينهم

- كلمتك الاخيرة شنو

فقلت لهُ

- الله هوَ الحُب

وفي حركة سريعة ضرب الكرسي بقدمه وينزلق جسدي بسرعه من على الكرسي وأصبحت أنازع الحياة هذا .

ها أنا ذا أرى الحياة الجديدة الآن. اقسم لكم انها حياة رائعه حقاً . لا يوجد فيها ظالم ولا مظلوم إنها الحياة التي أعيشها من جديد ها أنا ذا اتحرر من جسدي وانتقل للعيش في العالم الجديد في روحي. لقد تركت الجسد المتعب عند هؤلاء الحمقى . والان اترك روحي تُحلق في سماء العراق .

النهاية